

لغات هذيل

أبرز خصائص

الدكتور عبد الرحمن محمد السماعيل

معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تقديم :

هذيل إحدى القبائل المضربة العدنانية ، وهي واحدة من قبائل بادية الحجاز ، ينمى إليها من اللغة ما يعزى إلى هاته القبائل ، قد ارتحل إليها رواة اللغة والأدب ، فسمعوا منها وحكوا عنها ، وقد شرفها الله أن جاءت بعض كلمات القرآن بلغتها - كما سنيته بعد - أسهمت هذيل بنصيب جد كبير في نماء لغة الضاد وراثتها ، يشهد بذلك ديوان شعرائها من رجال ونساء الأمر الذي امتلأت به كتب اللغة والأدب ، فتكونت لها سمات لغات قبلية واضحة وشخصية لغوية متميزة .

وقبل أن أعرض لخصائص لغات هذيل فإنه يجمل بنا أن نقدم لها بكلمة موجزة عن تاريخ هذيل وذلك بالآتي :

نسبها :

تنحدر قبيلة هذيل من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١)

كانت ديارهم بالسروات ، وسرايتهم متصلة بجبل غزوان الممتد إلى الطائف وكانت لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد ، وتهامة بين مكة والمدينة ، ثم تفرقوا بعد الإسلام . وهم بطنان : سعد بن هذيل ، ولحيان بن هذيل . . وكان بأفريقية منهم قبيلة بنواحي باجة . . وكانت منهم طائفة بطوخ الجبل من إخميم بالديار المصرية .^(٢)

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ١٨ : ٢٣ .

(٢) انظر معجم قبائل العرب ١٢١٣/٣ ، ١٢١٤ .

أقسامها وبطونها :

تنقسم هذيل إلى قسمين : شمالي وجنوبي ، وتقع ديار القسم الشمالي في أطراف مكة والطائف قرب جبل (برد) وجبل (ذكا) المشهور ويتألف هذا القسم من سبعة أفخاذ هي : المطارفة ، والمساعد ، والسواهر والحيان ، وعمرو أو عمير ، والجنابر .

وأما القسم الثاني : فيدعى هذيل اليمن ويتألف من الأفخاذ الآتية :

الندوية ، ودعد ، والسرانة ، والعاهلة ، وجهيل^(١) .

منازلها :

عزنة ، عرفة ، بطن نعمان ، نخلة رحيل ، البوارة ، أوطاس ، الهزوم ، العين ، أنف ، الموازج ، التلاعة ، المناعة ، الجمعة ، والأحث .

جبالهم :

مكان ، المشعر ، فحل ، شمنصير ، عماية ، الأوق ، الأراك ، قراس ، داعة ، لحوظ ، ذات الدبر ، الأعوض ، سام ، الفضل . . الخ .

أوديتهم :

نخلة الشامية ، سعي ، حلبة ، مركوب ، الضاحي ، ملكان ، آدم ، رفاق ، عروان ، وضيم .

مياهم :

المجاز ، الرجيع ، وبئر معونة . .

أيامهم :

يوم خشاش ، ووقعة الجرف ، موضع قرب مكة كانت فيه وقعة بين هذيل

(١) قلب الجزيرة العربية لفؤاد حمزة ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، والرحلة الحجازية للبتوني ٥٢ ، تاريخ سينا لنعموم شقير ٦٦٣ ، الارتسامات اللطاف للأخير شكيب أرسلان ٢٧٢ ، تاريخ نجد للألوسي ٩٠ ، البادية للراوي ١٩٢ ، الرحلة اليمنية لشرف البركاني ١٠٧ ، ١٠٨ ، ما رأيت وما سمعت للزركلي ١٠١ .

وسليم ، فأغار مالك بن عوف النصري على بني معاوية من هذيل ، واستاق بالبوية واستنفذوا ما كان في أيديهم فدعي يوم البوية ^(١) .
مفاخرها :

لقد اجتمع لهذيل مفاخر جمة ، إذ كان فيها الشعراء فقد حكى أنه كان فيهم ثلاثون ومائة شاعر وفيهم الخطباء والرماة والعداءون .

أما الشعراء فقد قال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف بيت شعر أحكم وأوجز ؟

فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

« وحسبك داء أن تصح وتسلما »

قال الجاحظ : ولعل حميدا أن يكون أخذه عن النمر بن تولب ، فان النمر قال :

يجب الفتى طول السلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل ^(٢) ؟

وقال أبو العتاهية :

« أسرع في نقض امرئ تمامه »

ذهب إلى كلام الأول : كل ما أقام شخص ، وكل ما ازداد نقص ، ولو كان الناس يميتهم الداء ، إذا لأعاشهم الدواء .

وقال الثاني من الرواة الثلاثة : بل قول أبي خراش الهذلي :

« نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي »

وقال الثالث من الرواة : بل قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وإذا ترد إلى قليل تقنع »

(١) انظر معجم قبائل العرب لعمر رضا كحاله ٢١٣/٣ : ١٢١٥ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٥٠٣/٦ ، والأغاني ١٥٩/١٩ ، والمعمرين ٦٣ .

فقال قائل : هذا من مفاخر هذيل ، أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلا ثلاثة أنصاف ، اثنان من هذيل وحدها .^(١)

ومن شاعرات هذيل جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي ، قالت تراثي أخاها :

تمشي التوار إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهم الجلابيب^(٢)

أما خطباؤها فكان منهم أبو المليح الهذلي أسامة بن عمير ، ومنهم أبو بكر الهذلي كان خطيبا قاصا ، وعارفا بالأخبار والآثار ، وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال : لنا الساج والعاج والديباج والخراج ، والنهر العجاج^(٣) .

أما الرماة والعداءون فقد قال أبو اليقظان : وليس في هذيل إلا شاعر ، أورام أو شديد العدو .^(٤)

ويأتي في ذروة مفاخرها أن عدها العلماء من القبائل التي نزل القرآن بلغاتها وقول عثمان رضي الله عنه حين نسخت المصحف ثم عرضت عليه فوجد فيها حروفا من اللحن فقال : اتركوها ، فإن العرب ستقيمها بألسنتها ، أو ستعربها بلسانها^(٥) لو كان الكاتب من ثقيف ، والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف^(٦) .

وما روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : إن الله أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب^(٧) .

وصدق الله إذ يقول « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٥٣/١ ، ٥٥ .

(٢) الحيوان ١٨٥/٢ ، بالهامش ، ٣٢٩/٦ .

(٣) البيان والتبيين ٣٥٧/١ ، ٩٤/٢ .

(٤) البيان والتبيين ١٧٤/١ .

(٥) المقنع لأبي عمرو الداني ١١٥ .

(٦) المقنع لأبي عمرو الداني ١١٧ ، وتاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ١١٨ .

(٧) حجة ابن خالويه ٤٢ ، وأسد الغابة ١٩٢/٣ ، ثم انظر البرهان للزركشي ١١٧/١ ، ٢١٧ :

٢١٩ ، ٣٣٨ ، والاقتراح للسيوطي ٥٦ .

وفيما يلي سوف أتناول بالبحث والتحليل خصائص لغات هذيل ، مقسما إياها الى ثلاثة أقسام :

الأول : يتعلق بالنحو

الثاني : يتعلق بالتصريف والأصوات

الثالث : يتعلق بالمعاني

وبالله التوفيق ،

خصائص لغات هذيل :

مما لا شك فيه أن آية لغة من لغات آية القبائل إنما تقوم في مبناها على أساسين اثنين :

الأول : اختلاف بناء الكلمة كالاختلاف في ابدال حرف بحرف أو تقديم حرف على حرف أو زيادة حرف وحذف آخر . الخ . الثاني : اختلاف حركات الاعراب والبناء مما يرجع — أصلا — الى بناء الكلمة وكيفية النطق بها .

وهذيل إحدى القبائل العربية التي تعيش في بادية الحجاز ومن قصدها رواة اللغة ، وإليها ارتحلوا فسمعوا منها وحكوا عنها ، ولغاتها من اللغات الخالصة ميد أنها نراها تأتلف تارة مع لغات القبائل العربية ، وتختلف عنها تارة أخرى ومن ثم لزمنا في هذا البحث أن نفصل القول في لغات هذيل على النحو التالي :

أولا : ما يتعلق بالنحو

(أ) مجيء الباء ومتى بمعنى (من) والجر بالأخيرة وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لمن نبيج^(١)

أي شربن من ماء البحر ثم ترفعت من لجج .

أما الباء فقد استشهد العلماء على وقوعها بمعنى (من) بقول العرب غير

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٧٥ هـ تميشة ٣ ، وابن عقيل ٢٣١/١ ، وتاريخ آداب العرب ١٥٥/١ ، والأشباه والنظائر ٤٤/٣ .

ما تقدم : شربت بماء كذا وكذا : أي من ماء كذا ، وقوله تعالى : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾ الانسان ٦ ، وقوله : ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ المطففين ٢٩ . أي منها ، وقال عنتره :

شربت بماء الدَّحْرُضَيْنِ فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديدلم^(١)

أي شربت من ماء الدحرضين وهما ماءان أحدهما دحرض ، والآخر وشيع فغلبوا الأول على الثاني .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ هود ١٤ : أي من علم الله .

ومجيء الباء بمعنى (من) يفسر لنا ظاهرة لغوية تشيع في نيابة حروف الجر بعضها عن بعض وهو مذهب الكوفيين وابن مالك حيث أشار الى ما تقدم في الباء بقوله :

. . . والظرفية استبين بيا وفي وقد بينان السببا
بالبا استعن وعد عوض ألصق ومثل مع ومن وعن بها انطق

كما يدلنا ذلك وهو نيابة حروف الجر بعضها عن بعض أنه ليس من واضع واحد بل من تعدد الواضعين وهم أهل اللغة وصناعها ، وليس ذلك بمفتعل من النحاة بل هو منقول بالسمع والرواية عن العرب ، والمعنى يقتضي ذلك التناوب .

ومع صحة مجيء الباء في لغة هذيل بمعنى (من) فلا يمنع من إرادة المعنى الأصلي لها ويكون ذلك العارض معنى مجازيا ، كما يجوز فيها أن تكون زائدة لكون الفعل قبلها متعديا .

قال ابن قتيبة في قوله : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾ بعد أن ذكر أنها بمعنى

(١) المعلقات شرح الروزني ١١٥ ، وشرح القصائد العشر ١٨٦ ، واللسان ٩٥/١٥ ، وشرح الفصاحة ٦٥ ، وأساس البلاغة ١٣٥/١ ، وأدب الكاتب ٥١٧ ، وأمالي المرتضى ٣/٤ ، وشرح الكافية للرضي ٣٢٨/٢ .

(من) : ويكون بمعنى يشرب بها عباد الله ويشرب منها^(١) ويقول ابن جني في معنى قول أبي ذؤيب : (شرب بماء البحر) : أي شرب ماء البحر ، وإن كان قد قيل إن الباء هنا بمعنى (في) . . والمفعول محذوف ، والمعنى : شرب الماء في جملة ماء البحر . .^(٢)

و (من) التي تنوب عنها الباء اختلف فيها ، فقيل هي التبعية كما نص عليه في التسهيل ، قال الدماميني : وفي هذا المعنى خلاف ، ومن ذكره الأصمعي والفارسي في التذكرة ، ونقل عن الكوفيين . . واستدلوا عليه بقوله : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾ أي منها ، وبقول أبي ذؤيب السابق وقول عمر بن أبي ربيعة الخزومي

فلثمت فاها آخذنا بقرونها شرب النريف يبرد ماء الحشرج^(٣)
وقد أنكر ابن جني التبعية وليس بشيء^(٤)

وأما (متى) فقد حكى الكسائي ذلك عن العرب قولهم (أخرجها متى كمة يريدون : من كمة ، وقال ابن الشجري : حكى الكسائي عن العرب (أخرجها من متى كمة) : أي من وسط كمة وهي لغة هذيل ، و (من) المنوب عنها هي الابتدائية حكى ذلك يعقوب عنهم^(٥) .

وعليه جاءت شواهد منها قوله الشاعر :

« أُحْيَلُ بَرَقًا مَتَى حَابٍ لَه زَجَلٌ »

أي من سحاب حاب ، وقول صخر الغي :

« متى أقالها علق نفيث »

أي من أقطارها . قال الرضي : وربما جرت هذيل بمتى على أنها بمعنى (من)

كقوله :

(١) تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ .

(٢) انظر المحتسب ١١٤/٢ ، ١١٥ .

(٣) وذكر ابن هشام أن الباء في لغة هذيل بمعنى (من) أو (في) مغني اللبيب ٢١/٢ .

(٤) انظر الدرر ٣٤/٢ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٨٠٦ ، ٨٠٧ .

(٥) انظر الكافية الشافية لابن مالك ٧٨٤ ، وأمالى ابن الشجري ٢٧٠/٢ ، والتصریح ٢/٢ ،

والهمع ٣٤/٢ .

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر هن نسيج

وحكى أبو معاذ الهراء - وهو من شيوخ الكوفيين - « وضعته متى كمي »
وقد اختلف في ذلك فقال ابن سيده (متى) بمعنى (في) وقال غيره بمعنى وسط^(١) .

وعليه تكون (متى) في لغة هذيل قد جاءت نائبة عن (من) تارة وعن (في)
أخرى ، وبمعنى وسط ، وعليه تكون متى ظرف مكان عندهم ، وإنما يتعين كونها بمعنى
وسط ، إذا أدخلت عليها (من) كما في رواية الكسائي (أخرجته من متى كمي) أي من
وسط كمي ، وذلك لأن دخول حرف الجر على مثيله نادر إلا أن يكون توكيدا ، أو أنه
جمع بين النائب والمنوب عنه في الكلام شذوذا .

وقد أشار ابن مالك الى مجيء (متى) حرف جر بقوله :

والكاف والباء ولعل ومتى

واستعمال هذيل (متى) بمعنى (من) يدلنا على ما توسعت فيه العرب من
ألوان الاستعمال حيث نرى (متى) تقع ظرف زمان للماضي والمستقبل مضمنا معنى
همزة الاستفهام في باب الاستفهام ومعنى (إن) الشرطية في باب الشرط . وظرف مكان
بمعنى وسط ، وحرف جر بمعنى (من أو في) في لغة هذيل .

(ب) إعراب الذين واللاء إعراب جمع المذكر السالم بالواو رفعا ، والياء نصبا
وجرا نحو : جاء اللذون أو اللاءون أسدوا إلينا جميلا ، ورأيت الذين أو اللاتين ،
وسلمت على الذين أو اللاتين وقد أشار ابن مالك في الألفية الى ذلك بقوله :

جمع الذي الألي الذين مطلقا وبعضهم بالواو رفعا نطقا
باللات واللاء التي قد جمعا واللاء كالذين نزرا وقعا^(٢)

وصرح بما ذكرنا في متن الكافية الشافية بقوله :

وللذكور العقلا الذينا في كل حال وأتي الذونا

(١) انظر معني الليب لابن هشام ٢١/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٧٥ تهميشة ٣ وشرح الكافية
للرضي ١١٦/٢ .

(٢) الألفية باب الموصول ص ١٥ .

في الرفع عن هذيل واللاءونا^(١) .

أما اللاؤون فقد خلصت لهذيل^(٢) مثال وقوعها مرفوعة بالواو قول الهذلي :
هم اللاؤون فكوا الغل عني بمرؤ المشاهجان وهم جناحي^(٣)
فهم مبتدأ واللاءون خبره مرفوع بالواو ، ومثال وقوعها مجرورة قول الشاعر :
وانا من اللاتين ان قدروا عفوا وان أتربوا جادوا وان تربوا عفوا^(٤)
فاللاتين مجرور بالياء حيث تقدمه حرف الجر (من) ، وسمع الكسائي . اللاؤو
فعلوا .

قال ابن الشجري : قال الكسائي : سمعت هذيلاً تقول : هم اللاءو فعلوا كذا
وكذا « (بحذف النون تخفيفاً) ومنهم من يقول : « هم اللائي فعلوا » (باشباع حركة همزة
اللاء) فتولدت الياء) في الأحوال الثلاث .

قال الفراء : وهذه اللغة سواء في الرجال والنساء ، ومنهم من يحذف الياء في
الرجال والنساء فيقول : هم اللاء فعلوا ، وهن اللاء فعلن ، قال وأنشدني رجل من بني
سليم :

فما آباؤنا بأمن منه علينا اللاء قد مهدوا الحجورا^(٥)

ويذكر الشيخ خالد في التصريح أن اللاء استعملت مكان الأئي علي التقارض
بينهما وذلك بأن تستعمل العرب إحداهما مكان الأخرى كما سبق ومثال العكس وهو
استعمال الأئي بدل اللاء قول قيس بن الملوح صاحب ليلى :

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٥٨ .

(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٥٨ ، وشرح بانت سعاد لابن هشام ٣٨ وأمالي ابن الشجري
٣٠٨/٢ .

(٣) شرح بانت سعاد لابن هشام ٣٨ ، وعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٣٠ ، مغني اللبيب
٦٢/٢ .

(٤) حاشية الخضري ٧٢/١ .

(٥) أمالي ابن الشجري ٣٠٨/٢ ، والتصريح ١٣٣/١ .

محاجبا حب الألى كن قبلها وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

أراد : اللاء ، ويعرف التقارض بينهما بعود الضمير عليهما ففي بيت السلمي قد عاد ضمير جمع المذكر على اللاء فعرف بأن المراد : الأولى (وفي بيت ابن الملوح عاد ضمير جمع النسوة على الألى فدل على أن المراد : اللاء^(١)) هذا قول النحاة !!! وهل هناك بأس يمنع استعمال العرب الكلمتين للمذكر والمؤنث ؟ أم هل صرحت العرب للنحاة بأنها فعلت ذلك تقارضا ؟ !!

وأما اللذون فقد نسبها الرضي لهذيل فقط حيث قال : وجمع الذي في ذوى العلم (الذين) في الأحوال الثلاث على الأكثر ، واللذون في الرفع هذلية^(٢)

وكذلك فعل ابن مالك من قبله في شرح الكافية الشافية فقال : اذا جمع (الذي) وأريد به من يعقل فهو مبني عند غير هذيل ، وأما هذيل فيشبهونه بصفات الذكور العقلاء فيعربونه ويقولون : نصر اللذون هدوا على اللذين ضلوا^(٣) ...

ونسبها ابن هشام الى هذيل وعقيل^(٤) . قال : وقد يقال بالواو رفعا وهي لغة هذيل وعقيل^(٥) والذي دعاه الى أن يشرك عقيلاً مع هذيل في اعراب (الذين) بالواو رفعا والياء نصبا وجرا قول العقيلي :

نحن اللذون صبوحا الصبّاحا يوم التّخيل غارة ملحاحا^(٥)

وهذا البيت شاهد على رفعها بالواو ومثله ما أنشده ابن مجاهد :

وبنو نُويجِيَّة اللذون هم معط مُخدَّمة من الخزان

قال ابن خالويه : ومن العرب من يقول : جاء اللذون ومررت باللذين

(١) انظر التصريح بحاشية يس ١٣٣/١ ، وحاشية الخضري ٧٢/١ .

(٢) شرح الكافية للرضي ٤٠/٢ ، والأمل الشجرية ٣٠٧/٢ .

(٣) شرح الكافية الشافية ٢٥٨ .

(٤) شرح بانت سعاد ٣٨ ، والتصريح على التوضيح ١٣٣/١ ، واللمع لابن جني ٢٦١ تهميشة

٦

(٥) مغني اللبيب ٦٢/٢ ، والتصريح ١٣٣/١ .

« فيعرب »^(١) هذا — ولم يتيسر لي شاهد لها حالي النصب والجر إلا ما صنعه النحاة في ذلك قياسا على حال الرفع ، وإذا كان ولا بد من الأخذ بالمسموع عن العرب فإنه يمكن لنا القول بأن هذيلًا لم تعرب (الدين) إلا حال الرفع فقط ، وأما حالا النصب والجر فإنها مثل جمهور العرب .

ويذهب النحاة إلى تعليل إعراب الدين واللاء عند هذيل إلى الآتي :

فابن مالك يرى أنهما أعربت على التشبيه بصفات الذكور العقلاء كما تقدم ، ويرى الرضي أن إعرابهما قد جاء على الأصل فيقول : واعلم أن حق الإعراب أن يدور على الموصول لأنه المقصود بالكلام — يعني في الأسماء لرفع اللبس بين الفاعلية والمفعولية . الخ — وإنما جيء بالصلة لتوضيحه ، والدليل ظهور الإعراب في (أى) الموصول نحو : جاء أيهم ضربته ، ورأيت أيهم ضربته ، ومررت بأيهم ضربته^(٢) . وبعض العرب يشبها ويجمعها أيضا في الاستفهام وغيره نحو : أياهم أخواك ، وأيوهم إخوانك^(٣) وكذا في اللذان واللتان فيمن قال بإعرابهما^(٤) .

ومن هنا يظهر أن إعراب الدين واللاء في هذيل قد جاء على الأصل في إعراب الأسماء ، ويؤكد ذلك أن الجمع من خصائص الأسماء ، وكان حقه أن يجري على سنن الجموع المتمكنة لبعدها عن شبه الحرف فلا تبني ، وربما كان السبب في إعراب هذيل لهما أنها أجزتهما على طريقة المفرد المشدد الياء في لغة من أعربه نحو : جاء الذي صتع المعروف ، ورأيت الذي وأعجب بالذي ، يدل على ذلك أن جار الله قال : إعراب الجمع لغة من شدد الياء في الواحد ، وهذا يقوي قول الجزولي : إن الذي شدد الياء معرب ، فكان أصله اللذين فحذفت إحدى الياءين ، ثم عمل به ما عمل بقاضون ، وحكي بعضهم : اللذين رفعا ، واللذين نصبا وجرًا ، وهي لغة من شدد الياء فجمعه بلا حذف شيء منه^(٥) .

ويفهم من هذا أن إعراب المفرد (الذي) والجمع (الدين واللاء) هو لغة

(١) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٣٠ .

(٢) شرح الكافية للرضي ٣٩/٢ .

(٣) شرح الكافية للرضي ٤١/٢ .

(٤) شرح الكافية للرضي ٣٩/٢ .

(٥) شرح الكافية للرضي ٤٠/٢ .

هذيل . وهذيل تصرف آخر في (الذين) وهو حذف النون منها نحو قول الأشهب بن رميلة :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القومُ كلَّ القومِ يا أمَّ خالد

أراد : الذين^(١) وقد جاء منه في القرآن قوله : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ البقرة ١٧ حيث عاد الضمير عليه جمعاً في قوله ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ، وقوله : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ الزمر ٣٣ ، وقوله : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ التوبة ٦٩ وللنحاة في ذلك تحريجات ، فالرضي يرى أن (الذي) اختصار الذين عند هذيل مفرد وصف به مفرد مقدر ، وهو مفرد لفظاً ومجموع معنى ، والتقدير عنده : وإن الجمع الذي . . الخ^(٢) .

وابن مالك يرى أن الذي هنا ناب عن الجمع ، قال : مثال وقوع (الذي) موقع (الذين) لتضمنه معنى الجزاء قوله تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ أنه أريد به الجنس فقال : ومثال المقصود به الجنس قوله تعالى : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ وقوله : ﴿ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (البقرة ٢٧٥) .

فهذان النوعان يستعملان كثيراً ، وما سوى ذلك قليل وذكر بيت الأشهب السابق^(٣) . لكن يظهر لي أن نياية المفرد عن الجمع كثيرة في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة كما يبدو أن الذي هو الذين في لغة هذيل حذفت نونه تخفيفاً لظوله بالصلة توسعاً كما حذفت ياء المفرد فقالوا : اللذ واللت ، وحذفت بنو الحرث بن كعب وبعض بني ربيعة نون المشى ، فقالوا (اللذا) في اللذان ، و (اللتا) في اللتان قال الفرزدق :

(١) انظر الفصل للزمخشري ١٤٤ ، بالهامش . والكتاب ٩٦/١ ، والمقتضب للمبرد ١٤٦/٤ ، واخترت لابن جني ١٨٥/١ ، وشرح الفصل لابن يعيش ١٥٤/٣ ، ١٥٥ ، وخزانة الأدب ٥٠٧/٢ ، ومغني اللبيب ١٩٤ ، الدرر ٢٤/١ ، ٩٠/٢ ، والتصريح ١٣٠/١ ،

١٣١
(٢) شرح الكافية ٤٠/٢ .

(٣) انظر شرح الكافية الشافية ٢٦٠ .

أبني كليب إن عمي اللذا قنلا الملوك وفككا الأغللا
وقال الأخطل :

هما اللتا لو ولدت تميم لقليل فخر لهم صميم^(١)
كما حذفت نون جمع المذكر السالم لغير الإضافة في قول رجل من الأنصار :
الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورائنا نطف

قال سيويه : لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكن حذفوها
كما حذفوها من اللذين والذين حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم
الآخر^(٢) ثم ذكر بيتي الأخطل وابن رميلة لهذا الغرض .

وبعد : فإن حذف النون من (الذين) واختصارها الى (الذي) في لغة هذيل
يخلصنا من مشكلة عود الضمير جمعا مفردا على (الذي) في بعض الأساليب العربية
قرآنية كانت أو غير قرآنية — كما أسلفت — والإخبار عنه كذلك سواء أقصد بالذي
الجنس أو نيابته عن الذين كما يظهر من كلام ابن مالك السابق أو أنه صفة لموصوف
مقدر لفظه مفرد ومعناه جمع كما ذهب إليه الرضي ، وعليه إذا عاد الضمير مفردا
أو أخبر عنه بمفرد فقد روعي فيه لفظ الذي ، وإن عاد جمعا أو أخبر عنه بجمع فقد
روعي معناه .

(ج) وتستعمل هذيل (لَمَا) بمعنى (إلا) لاستثنائية بعد (إن) النافية ، وذلك
في نحو قولهم : أنشدك الله لما فعلت كذا ، : أي ما أسألك إلا فعلك كذا . ومن مجيء
(لما) بمعنى (إلا) قوله تعالى : ﴿ إن كل نفس لَمَا عليها حافظ ﴾ الطارق ٤ ، : أي
إلا عليها حافظ ، وذلك في قراءة التشديد ، وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمة وأبي
جعفر^(٣) ألا ترى أن المعنى : ما كل نفس إلا عليها حافظ ، فإن نافية ، و (لما) فيه
بمعنى إلا ، ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ وإن كل ذلك لَمَا متاع الحياة الدنيا ﴾ الزخرف
٣٥ ، أي إلا متاع الحياة الدنيا ، وقوله تعالى : ﴿ وإن كل لَمَا ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾

(١) انظر التصريح ١/١٣٢ ، وشرح الكافية الشافية ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) انظر الكتاب ١/٩٥ .

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ٧٥٨ ، وحجة القراءات لابن خالويه ٣٦٨ .

هود ١١١ على قراءة تخفيف (إن) وتشديد (لَمَّا)^(١) وهي من الشواذ ، والدليل على أن (لَمَّا) بالتشديد بمعنى (إلا) قراءة الأعمش « إنْ كُلُّ إِلَّا لِيُوفِينَهُمْ رَبِّكَ أَعْمَالَهُمْ » وهم لا يضعون الحرف مكان الحرف إلا اذا تضمن معناه وأدى مؤداه .

قال ابن جني : وأما إن كل لَمَّا ليوفينهم فمعناه : ما كل إلا والله ليوفينهم كقولك ما زيد إلا لأضربنه : أي ما زيد مستحق لأن يقال فيه هذا ، ويجوز فيه وجه ثان : وهو أن تكون (إن) مخففة من الثقيلة ، وتجعل (إلا) زائدة وقد جاء عنهم ذلك قال : وما الدهر إلا منجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا معذبا^(٢)

وذكر ابن هشام في أقسام (لَمَّا) أنها حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله : ﴿ إن كل نفس لَمَّا عليها حافظ ﴾ فيمن شدد الميم ، وعلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظا لا معنى نحو : أنشدك الله لما فعلت : أي ما أسألك إلا فعلك ، وقال الشاعر :

قالت له بالله يا ذا الردين لما غشت نفسا أو اثنين

وفيه رد لقول الجوهري : إن (لَمَّا) بمعنى إلا غير معروف في اللغة^(٣) وفي شرح موصل الطلاب قال ابن هشام : ولا التفات إلى إنكار الجوهري ذلك حيث قال : إن (لما) بمعنى إلا غير معروف في اللغة^(٤)

وقد سبقه الفراء وأبو عبيدة . قال الشيخ خالد : وما قاله المصنف حكاة الخليل وسيبويه والكسائي ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، والمثبت مقدم على النافي^(٥) .

(١) انظر شرح موصل الطلاب الى قواعد الاعراب ٧٢ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٤٢ ، ومعاني الحروف للرماني ١٣٢ ، ١٣٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٩/٢ ، والبرهان في علوم القرآن ٣٨٦/٤ ، والتبيان في اعراب القرآن للعكبري ٧١٧/٢ ، والقرطبي ١٠٤/٩ .

(٢) الختساب ٣٢٨/١ .

(٣) انظر مغني اللبيب ٢٢٠/١ .

(٤) الصحاح للجوهري مادة (ل م م) وفي القاموس : وإنكار الجوهري كونه بمعنى إلا غير جيد ، يقال : سألتك لما فعلت : أي إلا فعلت ، ومنه ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ . الخ .

(٥) انظر شرح موصل الطلاب ٧٢ ، ٧٣ .

وهنا ينبغي أن أذكر كلام الفراء نحويء (لَمَّا) بمعنى إلا تحقيقا للمسألة .

قال : وأما من جعل (لَمَّا) بمعنى إلا ، فإنه وجه لا نعرفه — وبه أخذ الجوهري قوله السابق — وقد قالت العرب : بالله لما قمت عنا ، وإلا قمت عنا ، فأما في الاستثناء فلم يقوله في شعر ولا غيره ، ألا ترى أن ذلك لو جاز لسمعت في الكلام : ذهب الناس لما زيد^(١) .

والفراء في ذلك متأثر بالكسائي حيث قال : من خفف (إن) وشدد (لَمَّا) لست أدري والله أعلم بوجهه^(٢)

وبعد : فإن وقوع (لَمَّا) بدل إلا مفيدة مفادها وإنما ذلك في الاستثناء المفرع الذي يؤتى به للإيجاب وليس للإخراج ، واستعمال (لما) بمعنى إلا في الإيجاب ليس عاما في قبائل العرب وإنما اختص ذلك بلغة هذيل وبدا فيها وحدها وكونه خاصا بها وسمع منها حيث حكاه الخليل وسيبويه فلا يجوز بحال إنكاره أو رده ، فكم أشياء اختصت بقبيل دون قبيل من العرب ولم ينكرها أحد وإنما يعدها أهل القياس من الشواذ أو النوادر .

(د) جمهور العرب ينصب المستثنى بعد الموجب من الكلام التام نحو : صام الناس إلا المجاهر بالمعاصي ، وهذيل ترفعه نحو قول أبي خراش الهذلي :

أمسى سقامٌ خلاءٌ لا أنيس به إلا السباعُ ومُرُّ الريح بالعرف^(٣)

ويروى إلا التام ، قال أبو عبيدة : الهذلي يرفع إلا التام وغيره ينصبه^(٤) وقد حكى لغة الرفع أبو حيان دون نسبتها إلى هذيل ، وقد خرج عليها بعضهم حديث : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض (رواه الدراقطني وغيره) وذلك برفع امرأة وما عطف عليها .

وظاهر كلام ابن مالك أن ذلك جائز في لغة الجمهور ، فإنه قال : قال

(١) معاني القرآن للفراء ٢٩/٢ .

(٢) حجة القراءات لأبي زرع ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) السقام : اسم واد .

(٤) انظر الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار مادة (سقم)

أبو الحسن ابن عصفور : فإن كان الكلام الذي قبل إلا موجبا جاز في الاسم الواقع بعد إلا وجهان : أفصحهما النصب على الاستثناء ، والآخر أن يجعله مع إلا تابعا للاسم الذي قبله فتقول : قام القوم إلا زيدا بنصبه ورفع ، وعليه تحمل قراءة أبي والأعمش قوله : ﴿ فشرّبوا منه إلا قليلا ﴾^(١) البقرة ٢٤٩ . بالرفع ، وفي صحيح البخاري « فلما أحرّموا كلهم إلا أبو قتادة » برفع (أبو) والكثير نصبه^(٢) .

ثانيا : مسائل تتعلق بالصرف :

تلاعبت هذيل بحروف العلة ، وتوسعت فيها بما لم يك له نظير في لغة غيرهم من قبائل العرب ، وقد كشفت هذه الدراسة ألوانا من توسعها تنحصر في أربع مسائل :

القلب — الهمز — الحذف — والتحريك .

وسوف أعرض لكل منها بالبحث والتحليل والموازنة وذلك في الآتي :

المسألة الأولى : القلب

قلبت هذيل ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم خاصة ثم أدغمتها في الياء توصلا إلى كسر ما قبل الياء ، اذ يقولون في نحو (عصاي وهواي وقفاي ومحياي) عصي وهوي وقفي ومحّي ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

سبقوا هويّ وأعنقوا هواهمو فُتُحَرِّمُوا ولكل جنب مصرع

وعلى لغة هذيل هذي قريء قوله « فمن تبع هديّ » كما سيأتي^(٣)

وقد حكاه عيسى بن عمر عن قريش ، وحكاها الواحدي في البسيط عن طيء

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ١٥١ .

(٢) انظر حاشية يس على التصريح ٣٤٨/١ ، والمقرب لابن عصفور ١٦٧/١ ، ١٦٨ .

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ٢٩٣/١ ، وهمع الهوامع ٥٣/٢ ، والمقرب لابن عصفور ٢١٧/١ ، وشواهد الشافية للبغدادي ٤٢٦ ، والمفصل للزمخشري ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومعني اللبيب بحاشية الأمير ٦٩/٢ ، ٦٧ ، وشرح الشافية للرضي ٢٠٢/٣ تمهيشة ١ والتصريح ٦١/١ وابن عقيل بحاشية الخضري ٢١/٢ ، وتاريخ آداب العرب للرافعي ١٤٦/١ ، والمختص لابن جني ٧٦/١ ، والقرطبي ٣٢٨/١ ، ١٥٣/٩ .

في قوله : ﴿ فمن تبع هداي ﴾ ٣٨/٢ . وبها قرأ أبو عاصم الحجدري وابن إسحق وعيسى بن عمر (هُدَي) ، و (هي عَصِي) ورويت عن النبي ﷺ ، قاله الشاطبي^(١) ونقل السيوطي عن أبي حيان أنها لغة لهذيل وغيرهم^(٢) وذلك ليس ببعيد لجواز تأثر العرب بعضهم ببعض بحكم المواطنة والمجاورة ، وإن كان لكل قبيلة منهم خصوصية بارزة قد لا تكون لغيرها ولو جمعهم لغة مشتركة .

أما إذا كانت الألف للمشي كما في نحو : فتياي فان هذيلًا توافق جمهور العرب في إبقائها دون قلب ، كأنهم كرهوا أن يزيلوا دلالة الشنية كي لا يضيع الغرض الذي من أجله ألحقت^(٣)

وتتفق العرب جميعا على قلب الألف ياء من (لدي وعلي وإلى) عند اتصالها بالضمير فتقول : لديك وعليك وإليك ما عدا بني الحرث بن كعب وختنم وكنانة فإنهم يقولون فيها : (لداك وعلاك وإلاك)^(٤)

قال الجوهري : وبعض العرب (يشير الى القبائل الثلاث) بتركها : أي الألف في (إلى وعلى ولدي) على حالها عند اتصال الضمير بها قال الراجز :

نادية وناديا أباها

طاروا علاهن فطر علاها

ويقال هي لغة بلحارث بن كعب^(٥) . والأصل : عليهن وعليها ، إلا أنهم أبقوا الألف لخفتها ولم يقلبوها ياء لأنها أثقل منها .

ما جاء عن الشواهد على لغة هذيل :

قال أبو ذؤيب الهذلي :

سبقوا هويّ وأغنقوا هواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع

(١) التصريح ٦١/٢ .

(٢) همع الهوامع ٥٣/٢ .

(٣) انظر المراجع السابقة .

(٤) المصباح (إلى وعلى) وهمع الهوامع ٥٣/٢ .

(٥) الصحاح للجوهري مادة (علا) .

وقال المنخل الإشكري :

يطوف بي عِكَبَ في معدَّ ويطعن بالضُّمْلَةَ في قَفَّيَا
فان لم تتأرأ لي من عِكَبَ فلا أرويتما أبدا صديا^(١)

وقال أبو داود :

فأبلوني بليتكم لعلي أصلحكم وأستدرج نوبيا

وقرأ أبو الطفيل والحسن والحجدي قوله تعالى : ﴿ يا بشرى هذا غلام ﴾
يوسف ١٩ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فمن اتبع هُدَيَّ ﴾ البقرة ٣٨^(٢) ، وحديث
طلحة — رضي الله عنه : « فوضعوا اللج على قَفِّي »^(٣) .

تخرجات النحاة لقلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم في لغة
هذيل : يقول ابن جني : قال لي أبو علي : وجه قلب هذه الألف ، لوقوع ياء ضمير
المتكلم بعدها — إنه موضع ينكسر فيه الصحيح نحو : هذا غلامي . . . ، فلما لم يتمكنوا
من كسر الألف قلبوها ياء ، فقالوا : هذه عصي ، وهذا فتى : أي عصاي وفتاي ،
وشبهوا ذلك بقولك : مررت بالزبيدين — أي قلب ألف المثني ياء حال الجر — لما لم
يتمكنوا من كسر الألف للجر قلبوها ياء^(٤) .

وفي التوضيح وشرحه وأجازت هذيل في ألف المقصور قلبها ياء عوضا عن كسرة
الحرف التي يستحقها ما قبل الياء ، وإلى ذلك أشار ابن مالك في النظم .

وعن هذيل انقلابها ياء حسن^(٥) .

(١) ينظر في ذلك كتب النحو (إضافة المقصور الى ياء المتكلم) ومع الهوامع ٥٣/٢ ، والامالي

الشجرية ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، واختسب لابن جني ٧٦/١ ، والخصائص ١٧٦/١ ، ١٧٧ ،

وشرح الشافية للرضي ٢٠٢/١ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ .

(٢) ينظر في ذلك المغني بحاشية الأمير ٦٩/٢ ، ٩٧ ، والخصائص ١٧٦/١ ، بالهامش وشرح

الشافية ٢٠٢/١ ، والبحر ٢٠٩/٥ ، وأمالي الشجري ٢٨١/١ .

(٣) المفصل للزمخشري ١٠٨ .

(٤) انظر اختسب لابن جني ٧٦/١ .

(٥) الدرر ٦٨/٢ .

ومما تقدم يظهر لنا الآتي ، وهو أن هذيلاً قد عدلت عن الألف مع خفتها الى قلبها ياء مع ثقلها ، وذلك مراعاة لحق ياء المتكلم في كسر ما قبلها من الصحيح فأنابوا قلب الألف ياء عن الكسرة التي هي من حق ياء المتكلم مراعاة للتجانس اللفظي بينهما .

توسع غير هذيل في ألف المقصور :

بعض العرب قلب ألف المقصور ياء عند إضافته الى الضمير مطلقاً سواء كان ضميراً للمتكلم أو غيره ولعلهم أجروه في ذلك مجري لذي وعلى والي في لغة الجمهور فيقولون في فئاك ، وعصاك : فَيْتِكَ وَعَصَيْكَ ومن الشواهد في ذلك قول رجل من حمير :

يا بن الزبير طالما عصَيْكَ وطالما عنيْتَ إِيكَ
لنضربن بسيفنا قَفَيْكَ

أراد : قفأك ، فأبدل الألف ياء مع الإضافة الى الكاف كما تبدلها هذيل عند الإضافة الى ياء المتكلم في نحو (هويّ وعصيّ)^(١) .

وطبيء يقبلون ألف المقصور ياء مطلقاً أضيف أم لم يضيف وصلاً ووقفاً فيقولون في فَيْتِي وَحُبْلِي : فَيْتِي وَحُبْلِي وصلاً ووقفاً ، وجاء على لغتهم وقفاً ما أنشده محمد بن حبيب .

ان لطبيّ نسوة تحت الفضّي يمنعن الله ممن قد طغي
بالمشرفيات وطعن بالقسني يا حبذا جفانك ابن القحطبي
وحبذا قدورك المنصببي كأن صوت غليها اذا غلي
صوت جمال هدرني فقبقي

وبعض طبيء يقبلونها واوا فيقول : عصوّ وأفعوّ ، وحبلوّ ، وذلك حال الوقف ، ومنهم من يقبلها واوا وصلاً كذلك فيقول : هذه حبلوّ يا فتى^(٢) .

(١) انظر شرح الشافية ٢٠٢/١ بالهامش ، وشرح شواهد الشافية ٤٢٦ ، وخزانة الأدب

(٢) ٢٥٧/٢ وقريب من قلب الألف واوا ما رواه ابن قتيبة عن ابن عباس « لا بأس بلبس الحدو للمحرم » : أي الحداء ، وهو دليل على أن بعض العرب يقلب الألف واوا مطلقاً . (تاريخ آداب العرب) ١٤٦/١ ، وانظر ابن يعيش ٧٦/٩ ، ٧٧ وما بعدهما .

وبعض العرب يقلبها همزة حال الوقف فيقول جبلاً ، وأفعأً وفناً . . الخ يقول الرضى : وإنما قلبوها ياء ، لأن الألف خفية ، وإنما تبين إذا جئت بعدها بحرف آخر وذلك في حالة الوصل ، لأن أخذك في جرس حرف آخر يبين جرس الأول وان كان خفياً ، وأما إذا وقفت عليها فتخفي غاية الخفاء حتى تظن معدومة ، ومن ثمّ يقال : هؤلاء ويا رباه بهاء السكت بعدها ، فيبدلونها في الوقف حرفاً من جنسها أظهر منها وهي الياء ، وإنما احتملوا ثقل الياء التي هي أثقل من الألف في حالة الوقف التي حقها أن تكون أخف من حالة الوصل للغرض المذكور من البيان ، مع فتح ما قبلها ، فإنه يخفف شيئاً من ثقلها ، وهذا عذرٌ من قلبها همزة أيضاً وان كانت أثقل من الألف .

وأما من أبدلها واوا ، فلأن الواو أبين من الياء ، والقصد البيان ، وذلك لأن الألف أدخل في الفم لكونه من الحلق ، وبعده الياء لكونه من وسط اللسان وبعده الواو لكونه من الشفتين ، والياء أكثر من الواو في لغة طيء في مثله ، لأنه ينبغي أن يراعى الخفة اللاتقة بالوقف مع مراعاة البيان ، والذين يقلبونها واوا يدعون الواو في الوصل بحالها في الوقف ، وكل ذلك لاجراء الوصل مجرى الوقف وإنما قلبت واوا أو ياء لتشابه الثلاثة في المد وسعة المخرج ، وقريب من ذلك إبدال بني تميم ياء (هذي) في الوقف هاء ، فيقولون : هذه ، بسكون الهاء ، وإنما أبدلت الياء هاء لخفائها بعد الكسرة في الوقف . . الخ .

وفزاره وناس من قيس يقلبون كل ألف في الآخر ياء سواء كانت للتأنيث كحجلى أولاً كمشى^(١) ..

المسألة الثانية : الهمز .

تقلب الواو المضمومة أو المكسورة في أول الكلمة همزة في لغة هذيل لقولهم إلدة ، وأحدان ، وإشاح وإسادة في ولدة ، ووحدان ، ووشح ، ووإسادة .

أقول : إن هذه الظاهرة قد سبقني إليها الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، وحقق النسبة فيها إلى هذيل ، ولما كانت متصلة بلهجة هذيل لزمني أن أعرض لها مستهدياً بما ذكره ثم بما حصلت في هذه الدراسة .

(١) انظر المحاسب لابن جني ٧٧/١ ، وشرح الشافية للرضي ٢٨٥/٢ : ٢٨٧ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧٦/٩ ، ٧٧ وما بعدها .

مصادرها التي عزتها إلى هذيل :

- (أ) جمهرة ابن دريد حيث يقول : هذيل تقول إشاح في معنى وشاح^(١) وفي مكان آخر من الجمهرة يقول : وإسادة في وسادة لغة هذلية^(٢)
- (ب) الإبدال لابن السكيت حين يحكي عن الفراء قوله : وتقول هذيل : للوقاء إقاء وللوعاء إعاء^(٣) ..
- (ج) وفي مقدمة كتاب المباني ، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ واذا الرسل أتت ﴾ المرسلات ١١^(٤) .
- (د) والبحر المحيط حيث يقول أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ يوسف ٧٦ ، وذلك مطرد في لغة هذيل يدلون من الواو المكسورة الواقعة أو لا همزة^(٥)
- (هـ) حاشية الصبان على الأشموني^(٦) وإعراب القرآن للنحاس حين يقول : في قوله تعالى : ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ ويجوز إعاء وهي لغة هذيل ، ومثله : إكاف ووكاف^(٧)
- الشواهد على هذه الظاهرة :

ما جاء من الواو المضمومة :

يقول مالك بن خالد الحناعي :

أحمي الصرِيْمَةَ أهدان الرجال له صيد ومستمع بالليل هجاس^(٨)

(أهدان في وُحدان) .

(١) الجمهرة ١٦١/٢ وانظر الأمالي الشجرية ٩/٢ .

(٢) الجمهرة ٢٦٧/٢ .

(٣) الإبدال لابن السكيت ٥٧ تحقيق هفتر .

(٤) كتاب المباني تحقيق آرثر جفري ٢٢٣ .

(٥) البحر المحيط ٣٣٢/٥ .

(٦) ج ٢٩٦/٤ .

(٧) ١٥١/٢ .

(٨) ديوان الهذليين ٤/٣ ، وتاج العروس للزبيدي مادة (وُحد) .

وقال معقل بن خويلد الهذلي :

أبا معقل إن كنت أشحّت حلّةً أبا معقل فانظربنبلك من ترمي^(١)

(أشحّت في وُشحّت) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ المرسلات ١١ .

ما جاء من الواو المكسورة :

وقال البريق الخناعي :

فأصبحت لا أدعو من الناس واحداً سوى إلدة في الدار غير مقيم^(٢)

(إلدة في ولدة)

وقال حبيب الأعلی :

هواء مثل بعلك مستميت على ما في إعائك كالخيال^(٣)

(إعائك في وعائك)

تعليل النحاة لتلك الظاهرة :

يعلل الفراء إبدال الواو المضمومة في أول الكلمة همزة فيقول : وانما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت من ذلك قولك : صلى القوم أحداً وأنشدني بعضهم :

يحل أجيدهُ ويُقالُ بعلٌ ومثلُ تمولٍ منه افتقارُ

ويقولون : هذه أجوه حسان ، بالهمز ، وذلك لأن ضمة الواو ثقيلة ، كما كان

كسر الياء ثقيلاً^(٤)

(١) ديوان الهذليين ٦٥/٣ ، وتاج العروس مادة (وشح) .

(٢) ديوان الهذليين ٦١/٣ .

(٣) ديوان الهذليين ٨٣/٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٢٢/٣ ، ٢٢٣ .

ويقول أبو البقاء في قوله ﴿ وإذا الرسل أقنت ﴾ وقرىء بالهمز ، لأن الواو قد ضمت ضمنا لازما فهرب منها إلى الهمزة^(١)

ويقول ابن خالويه : والحجة لمن همز أنه استقل الضمة على الواو فقلبا همزة كما يستقلون كسرهما فيقبلونها همزة في قولهم : وشاح ، وإشاح ، والقلب سائغ في كلامهم^(٢)

وقال المبرد في الكامل : كل واو مكسورة أولا تهمز فأقرها الجماعات وجعلوها قاعدة^(٣)

ويقول ابن جني : فأما إسادة وإعاء ، فإن الكسرة فيهما محمولة على الضمة في (أقنت) فلذلك قل نحو إسادة ، وكثر نحو (أجوه وأرقة) حتى أنهم قالوا في الوجنة : الأجنة ، فأبدلوا مع الضمة البتة ، ولم يقولوا : وجنة^(٤)

ويقول الرضي : كل واو مخففة . . مضمومة ضمة لازمة سواء كانت في أول الكلمة كوجوه ، ووعد ، وووري ، أو في حشوها كأدور وأنور . . فقلبا همزة جائز جوازا مطردا لا ينكسر ، وذلك ، لأن الضمة بعض الواو فكأنه اجتمع واوان . . ويرى المازني أن قلب الواو المكسورة المصدرة قياس أيضا ، لكن الرضي يقصره على السماع كما في إشاح وإعاء ، وإلدة وإفادة في ولدة وإفادة ، ثم قال : وإنما جاء القلب في المسكورة — أيضا — لأن الكسرة فيها ثقل أيضا ، وإن كان أقل من ثقل الضمة فاستقل ذلك في أول الكلمة دون وسطها . . لأن الابتداء بالمستقل أشنع^(٥)

وقد خرج ابن جني قراءة جوية بن عائذ قوله ﴿ قل أحيي إلي ﴾ الجن ١ فقال : يقال : أوحيت إليه ووحيت إليه ، قال العجاج :

(١) التبيان لأبي البقاء العكبري ١٢٦٣/٢ .

(٢) حجة ابن خالويه ٣٦٠ ، ثم انظر حجة أبي زرعة ٧٤٣ .

(٣) تاج العروس للزبيدي مادة (وشح) .

(٤) الخصائص ١٨٣/٣ .

(٥) انظر شرح الشافية ٧٨/٣ ، ٧٩ .

بأذنيه الأرضَ وما تُعَنَّتْ
وَحَى لَهَا القَرَارَ فاستقرتْ

وأصل : (أجي) : وُحِيَ ، فلما انضمت الواو ضمنا لازما همزت على حَدِّ قوله تعالى : ﴿ واذا الرسل أقتت ﴾ وقالوا في وُجوه : أجوه ، وفي وُرُقَة أرقه . وقالوا : أجنة يريدون : الوجنة : (ما ارتفع من الخدين .

قال أبو حاتم : ولم يستعملوها على الأصل (وجنة) . وتقول على هذا : أجي إليه فهو مَوْحِي إليه ، فترد الواو لزوال الضمة عنها ، ومثله : أعَدَّ فهو موعود ، وأرث المال فهو موروث ، ولا يجوز : مَاعود ، ولا مَاروث لزوال الضمة عن الواو^(١) .. هذا — وقد قلبت الواو المفتوحة في أول الكلمة همزة في نحو قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الاخلاص ١ ، أصله : وَحَد فقلبت الواو همزة . وقال أبو حية الثمري :

رمته أناة من ربيعة عامر نثوم الضحى في مآتم أى مآتم^(٢)

(أناة في وناة) .

قال ابن بري : أبدلت الواو المفتوحة همزة في أناة ، وحكى الزاهد : أين أخيهم ؟ أي سفرهم وقصدهم ، وأصله وَخِيهم ، وزاد أبو عبيد : كل مال زكى ذهبت أبلته : أي وئلته ، وهي شره ، وزاد ابن الأعرابي : واحد آلاء الله ألي ، وأصله : وُلِّي ، وزاد غيره أزيز في وزيز ، وحكى ابن جنى أج في وج اسم موضع ، وأجم في وجم^(٣)

قال الرضي : وأما الواو المفتوحة المصدر ، فليس قلبها همزة قياسا بالانفتاح ، بل جاء ذلك في أحرف نحو أناة في وناة ، وأجم في وجم ، وأحد في وُحد ، وأسماء (اسم امرأة) على وزن فعلاء من الوسامة عند الأكثرين ، وليس بجمع . . وقال بعض النحاة : أصل أخذ و أخذ بدلالة اتخذ^(٤)

(١) انظر المختص ٣٣١/٢ .

(٢) الصحاح للجوهري مادة (وني) .

(٣) انظر تاج العروس مادة (وني) .

(٤) انظر شرح الشافية ٧٩/٣ .

وبعد : فإنه ينبغي التنبه الى الأمرين التاليين :

الأول : أن قلب الواو المضمومة أو المكسورة في أول الكلمة همزة ، إنما يكون ذلك من العربي عدولا عن الأثقل الى الثقل ، إذ الواو ثقيلة والهمزة كذلك ، والضممة أثقل الحركات ثم الكسرة وأخف الحركات الفتحة ، وعليه تكون الواو المضمومة أو المكسورة أثقل من الهمزة المضمومة أو المكسورة كذلك .

الثاني : أن قلب الواو المضمومة ضمة لازمة همزة قياس مطرد لا ينكسر ، وهي تقلب في الأول والوسط نحو : أجوه وأنور في (وجوه وأنور) .

وأما المكسورة فقد قاسها أبو عثمان المازني ، وقصرها الرضي على السماع . وأما قلب الواو المفتوحة همزة فليس بقياس ، وما ورد منها يعد من النوادر التي لا تبنى عليها القواعد ، ولا تخضع لضابط النحو ولن تقدرح في الأصول الجمع عليها .

المسألة الثالثة : حذف الحركات الطويلة

تحذف هذيل الحركات الطويلة اجتزاء عنها بالحركات القصيرة نحو : هو يأت بحذف الياء دون جازم لدلالة الكسرة قبلها عليها ، وقد عزاها أبو عبيد القاسم بن سلام في القرطبي لهذيل ، وقرأ بها حمزة قوله تعالى ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ بحذف الياء من (يأت) مع أنه مرفوع موصول ، وقد احتج لها أبو عبيد بحجتين الأولى : أنه رآه أي الحذف في مصحف عثمان — رضي الله عنه — بغير ياء ، والثانية أنه حكى أنها لغة هذيل ، تقول : لا أدر^(١) .

كما عزاها ابن عاشر في كتابه (فتح المنان) ، حيث قال : حذف الياء سواء كانت أصلية — أي من بنية الكلمة ، أو للاضافة : أي زائدة على البنية — هي لغة هذيل ثم قال :

قال الكسائي : سمعته يقولون : القاض والوال ، وقال الفراء : سمعته يقولون : لا أدر وذلك بحذف الحركات الطويلة استغناء عنها بالحركات القصيرة الدالة عليها .

قال ابن الأنباري : والحجة في ذلك — يعني (القاض والوال) — أن رؤوس

(١) القرطبي ٩٦/٩ ، ٩٧ .

الآي بمنزلة رؤوس الأبيات : أي القوافي ، وذلك أن رأس الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، كما أن آخر البيت فصل ، فحذفت : أي الياء من القاض والوال وغيرهما كما حذفت من رؤوس الأبيات ، قال الأعشى :

ومن كاشح ظاهر عمره إذا ما انتسبت له أنكرن
أراد : أنكري ، فحذف الياء واكتفى بالكسرة قبلها . وقال آخر :
كفك كف لا تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما
وقال ثالث :

ولا أدر من ألقى عليه رداءه خلا أنه قد سل عن ماجد محض
وذلك بحذف الياء من (تعطي) و (لا أدري) اجتزاء بالكسرة عنها ومثل ذلك كثير في أشعار العرب ، وهي لغة مشهورة عندهم دعاهم إليها رغبة الاختصار والإيجاز إذ كانت الكسرة قبلها دالة عليها ومؤدية عنها^(١) ، ويفهم من كلام ابن الأنباري أن حذف الحركات الطويلة شائعة عند العرب جميعا وهو كذلك لكنها عند هذيل أشيع وأكثر لأمرين : حكاية الرواة ذلك عن هذيل مثل أبي عبيد والكسائي والقراء وأن ذلك ورد في شعر هذيل بحذف الياء مع الكسرة الدالة عليها من الذي والتي كقول الشاعر :

كاللذ تربي صائدا فاصطيدا^(٢)

وحذف الياء لدلالة الكسرة عليها جاء منه الكثير في رسم القرآن وذلك في قوله : ﴿ يوم يأت لا تكلم نفسه إلا بإذنه ﴾ هود ١٠٥ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي « يوم يأتي » بإثبات الياء في الوصل ، وأثبتها ابن كثير في الوقف أيضا ، وحجتهم أنها مثبتة في المصحف !!! ، وقرأ الباقون بحذف الياء ، قال الخليل : إن

(١) انظر فتح المنان لابن عاشر مخطوطة دار الكتب المصرية ٤٥٠ وما بعدها ثم معاني القرآن للقراء ٢٠٠/١ ، ٢٠١ ، ٣٣٨ ، ٣٩٤ ، وعراب القرآن للعكبري ٢٨٥/١ ، وابن يعيش ٧٨/٩ وما بعدها ، والصحاح مادة (بلا) .
(٢) حاشية يس على التصريح ٤٢/١ .

العرب تقول : لا أدرِ ، فحذف الياء وتحتزىء بالكسر إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال ، والأجود في النحو إثبات الياء^(١)

وقال الفراء : كتب بغير الياء — يعني قوله ﴿ يوم يأت ﴾ — وهو في موضع رفع فإن أثبت فيه الياء إذا وصلت كان صوابا ، وإن حذفها في القطع — أي الوقف — والوصل كان صوابا قد قرأ بذلك القراء ، فمن حذفها إذا وصل قال : الياء ساكنة وكل ياء أو واو تسكنان ، وما قبل الواو مضموم ، وما قبل الياء مكسور ، فإن العرب تحذفهما وتحتزىء بالضممة من الواو وبالكسرة من الياء وأنشد بعضهم :

كفك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما^(٢)

ويظهر مما تقدم أن ابن عاشر — وحده — هو الذي نسب هذه الظاهرة — الى هذيل وأما الخليل والفراء فقد نسبها إلى العرب ، ويؤكد نسبتها الى هذيل — كما ذكر ابن عاشر — أنه قد اعتمد على سماع الكسائي منهم ، وأخذ الفراء ذلك عن استاذه الكسائي ، ثم تراه — أيضا — سمع منهم (لا أدر) بحذف الياء ، ولا يخفي ما للكسائي من كثرة السماع من هذيل حيث انتجع مواطنها وسمع منها وحكي منها كما أسلفت في حكايته عنهم الجر بمتى في قولهم : (أخرجته متى كمة) أي من كمة^(٣)

وإذا كانت هناك من قبائل العرب من ظهر فيهم ما لهذيل فعَلَّهُ أن يكون قد نشأ فيها بعاملي المجاورة لها والتأثر بها في ذلك ، وإذا سلم لنا هذا فإنه من الإمكان أن نقول إن هذيلاً رائدة في قصر الحركات الطويلة اكتفاء بالحركات القصيرة قبلها .

هذا — وقد خرج النحاة والمفسرون كثيرا من كلمات القرآن الكريم اللاتي حذفت منها الياء اكتفاء بالكسرة ، وحصروا مواطنها في المصحف الشريف بما لا يدع مجالا للشك في هذه الظاهرة والتعليل لها ، وورود القراءات السبعية أو العشرية بها^(٤)

وكما حذفت الياء استغناء عنها بالكسرة قبلها ، حذفت الواو كذلك استغناء عنها

(١) حجة القراءات لأبي زرعة ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٧/٢ ، والبيان لأبي البقاء ٧١٤/٢ .

(٣) أمالي ابن الشجري ٢٧٠/٢ ، وانظر ابن يعيش ٧٨/٩ وما بعدها .

(٤) انظر سمير الطالبين ٦٤ ، والفرائد الحسان في بيان رسم القرآن من أوله الى آخره .

بالضمة ، والألف استغناء عنها بالفتحة مثال الواو قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ ﴾ الإسراء ١١ ، و ﴿ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ القمر ٦ ، و ﴿ سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ ﴾ العلق ١٨ . ومثال حذف الألف قول رؤية : « وَصَانِي الْعَجَاجُ فِيمَا وَصَّنِي »^(١) ، والأصل وَصَانِي فحذف الألف اكتفاء بالفتحة قبلها .

قال ابن جنى : وذهب أبو عثمان في قول الله عز اسمه : ﴿ يَا أَبَتَّ ﴾ يوسف ٤ بفتح التاء في قراءة ابن عامر وأبي جعفر والأعرج — إلى أنه أراد : يا أبتاه وحذفت الألف ، ومن أبيات الكتاب قول لييد :

وقيل من لكيز شاهد رهط مرجوم ورهط ابن المعل^(٢)

أي المَعْلَى فحذف الألف . وقد علل ابن جنى حذف الحركات الطويلة بقوله : فإذا كانت هذه الحروف تتساقط وتتهي عن حفظ أنفسها وتحمل خواصها ، وعواني ذواتها ، فكيف بها إذا جشمت احتمال الحركات النيفات على مقصور صورها^(٣) ويوافق هذيل في حذف الحركات الطويلة أكثر قيس وأسد ، حيث يحذفون الواو والياء اللتين هما علامة المضمر غير أنهم يحذفون الحركة القصيرة معها كذلك ومن شواهدهم قول جرير :

أقلى اللوم عاذل والعتاب

والأصل (العتابا) إلا أنهم حذفوا الألف والفتحة قبلها لأنهم لم يريدوا الترخيم . ومن شواهد سيبويه :

لا يبعد الله إخواننا تركتهم لم أدر بعد غداة البين ما صنع
على أن أصله (صنعوا) فحذفت واو الضمير للوقف ، وان كان ينكسر
الشعر بحذفها ، لأنهم لا يبالون للوقف .

قال سيبويه : وزعم الخليل أن ياء يقضي وواو يغزو إذا كانت واحدة منهما حرف

(١) انظر الخصائص ٢٩٢/٢ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢٦٦/١ .

(٣) انظر الخصائص ٢٨٢/٢ ، ٢٩٣ ، ١٣٣/٣ : ١٣٥ ، وشرح شواهد الشافية ١٧٤ ،

٢٠٧ : ٢١٢ .

الروي لم تحذف ، لأنها ليست بوصل حينئذ . . وقد دعاهم حذف ياء يقضى إلى أن حذف ناس كثير من قيس وأسد الواو والياء اللتين هما علامة المضمير ولم تكثر واحدة منهما في الحذف ككثرة ياء يقضي ، لأنهما تحيان لمعنى الأسماء وليستا حرفين بنيا على ما قبلهما ، فهما بمنزلة الهاء في قوله :

يا عجباً للدهر شتى طرائقه

أراد : طرائفه فحذف صلة الضمير والحركة قبلها . وقال آخر :

يا دار عبلة بالجواء تكلم

أي تكلمي ، فحذف الياء والكسرة قبلها^(١) .

وكذلك نجد قبيلة طيء تحذف حرف العلة المتحرك من الفعل المعتل إذا أكد بالنون فيقولون في (اخشين وارمين . . الخ احشن وارمن ، وجاء من ذلك في الحديث الشريف على لغتهم « لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تطوحها » وتنسب هذه اللغة إلى فزارة كما تنسب إلى طيء^(٢) .

وبعد : فإن حذف حرف العلة لغير مقتض من جازم أو التقاء ساكنين ، أو توالي الأمثال نوع من التوسع الذي نراه فوق القواعد النحوية ، وقد صدقت فراسة أبي عمرو ابن العلاء في ذلك حيث سماه لغات .

روي أبو بكر الزبيدي الأندلسي في طبقات النحويين : قال ابن نفيل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن الألاء (ت ١٥٤) : أخبرني عما وضعت مما سميت عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ . قال : أحمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات^(٣) .

وكلام أبي عمرو يدل دلالة واضحة على الأصل الذي أخذ به البصريون في وضع أصولهم ، وهو البناء على الأكثر ، وما خالفه بعد من قبيل اللغات .

(١) انظر شرح شواهد الشافية ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) تاريخ آداب العرب ١/١٤٥ ، والكافية للرضي ٢/٤٠٥ .

(٣) المزهري ١/١١١ ، ١١٢ ، وتاريخ آداب العرب ١/١٣٥ .

ويقابل ظاهرة حذف الحركات الطويلة ، عكسها وهي مطل الحركات القصيرة وربما كان العربي يلجأ إليها رغبة في إطالة الصوت ومدّه أو إيضاحه وبيانه ، إذ الصوت إذا كان ساكناً لا يتضح وضوحه إذا كان متحركاً ، ويزداد وضوحاً إذا طالت حركته وربما توهم بعض ما لا خبرة له بأسرار العربية أن إطالة الحركات القصيرة أو قصر الحركات الطويلة شاهد له على القول بإهمال الاعراب في العربية ، حيث لا يدري ما للعرب من تلعب وتوسع في كلامها بالحذف والزيادة والقصر والمطل ، فتراهم تارة يقصرون الحركات الطويلة اكتفاء بالحركات القصيرة قبلها حيث تدل عليها ، بل ويحذفون الحركات القصيرة قبلها كما أسلفت ، ولا سيما إذا كان ذلك في حالات الوقف المختلفة أو التجانس والأزدواج في الكلام ، وتارة يمتطون الحركات القصيرة إما لإقامة الوزن أو لمد الصوت ، أو الأزدواج والتناسب في الكلام .

وقد ورد مطل الحركات في القرآن الكريم وفي كلام العرب مثال ذلك في القرآن قوله تعالى ﴿ فَلَاتُنسَى ﴾^(١) على مذهب من جعل (لا) للنهي و (تنسى) مجزوم بها ، والأصل (فلا تنس) بفتح السين ، ثم أتى بالألف دعامة لفتح السين ليوافق رؤوس الآي كما قرأ حمزة (لا تخف ، دركا ولا تخشى)^(٢) باشباع حركة الشين^(٣)

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾^(٤) والأصل : الرسول والسبيل ، فمطلت الفتحة للتجانس مع رؤوس الآي .
ومن الشعر قوله :

إذا العجوز غضبت فطلق . ولا ترضاها ولا تملق

وقول الآخر :

هجوم زيان ثم جئت معتذرا من هجو زيان لم تهجو ولم تدع

(١) الأعلى ٦ .

(٢) طه ٧٧ .

(٣) انظر اعراب ثلاثين سورة ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) الأحزاب ٦٦ ، ٦٧ .

وقوله :

ألم يأتيك والأنباء تسمى بما لاقت لبون بني زياد
والأصل : فلا تُرَضِّها — لم تهج — ألم يأتك ، إلا أن الشاعر اضطر إلى إقامة
الوزن فمطل الحركات الثلاث !!! أو أنه سكن الواو والياء (من تهجو ويأتي) شذوذا
مع وجود المقتضي لحذفها وهو الجازم .
قال ابن جنى في سر الصناعة : يجوز أن يكون (أي الشاعر) ممن يقول في
الرفع : هو يهجو (أي بتحريك الواو بالضم) ، فيضم الواو ويجريها مجرى الصحيح فإذا
جزم سكنها ، فيكون علامة الجزم على هذا القول سكن الواو من يهجو ، كما أسكن
الآخر ياء (يأتي) في موضع الجزم ، فقال :

ألم يأتيك والأنباء تسمى

وكانه ممن يقول (هو يأتيك) بضم الياء

وأما الألف في (ولا ترضاها) فقال ابن جنى : في شرح تصريف المازني :
شبهت الألف بالياء في أن ثبتت في موضع الجزم ، فإنه قد قدر الحركة هنا وحذفها
للجزم ، وهذا بعينها^(١) ... وفيه تحريجات أخرى طويت الكلام عنها .
المسألة الرابعة : فتح عين جمع المؤنث السالم إذا كانت واوا أو ياء .

فتقول هذيل : عورت وجوزات ويضات ، في عورات وجوزات ويضات^(٢)
قال ابن مالك :

وما كيضة وجوزة فعن هذيل افتح ولغيرهم سكن

(١) انظر شرح شواهد الشافية ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ثم انظر الخصائص ١٢١/٣ ، ١٢٤ ،
والأشياء والنظائر في النحو ١٦٢/١ ، وشواهد العيني محمود ١٨٠/٢ وحجة القراءات لابن
خالويه ١٩٨ ، وحجة القراءات لأبي زرعة ٣٦٤ ، وابن يعيش ١٠٤/١٠ وما بعدها .

(٢) ينظر في ذلك : التبصرة والتذكرة ٦٤٩ ، والخصائص ١٨٣/٣ ، ١٨٤ ، وشرح الكافية
٨٩/٢ ، وشرح الشافية للرضي ١١٠/٢ : ١١٢ ، وخزانة الأدب ٤٢٩/٣ وشرح شواهد
الشافية ١٣٢ ، وحاشية الخضري ١٥٢/٢ ، والكافية الشافية لابن مالك ١٧٩٨ ، ١٨٠٤ ،
والكتاب ١٩١/٢ ، والأجاجي ٨٤ وجمع الهوامع ٢٣/١ ، والدرر ٦/٢ والقرطبي ٢٣٦/٢ ،

وتفصيل القول في ذلك :

أن ما كان على وزن (فَعَلَّة) معتل العين ساكنها إذا جمع بالألف والتاء فإن جمهور العرب يسكن العين في الجمع قياسا على تسكينها في المفرد لاعتلال العين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾ الشورى ٢٢ .

قال ابن جنبي : فإما تسكينهم الواو والياء في جَوَزَاتٍ وَيَبَضَاتٍ ، فإنما كرهوا الحركة فيهما لئلا يصيروا إلى لفظ يجب معه القلب ، وهو قوهم : يَبَضَاتٍ ، وَجَوَزَاتٍ ، ولو قلبوا ، فقالوا : (باضات وجازات) لالتبس لفظه بلفظ ما واحده مقلوب نحو : دارات ، وقارات جمع دارة وقارة ، وقد جاء في الشعر تحريك مثل هذا .

قال الشاعر :

أبو يَبِضَاتٍ رَائِحٌ مَتَأَوِبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ الْمُنَكِّينِ سِوَحٍ
وإنما قَلَّتِ الحَرَكَاتُ فِي حُرُوفِ اللَّيْنِ لِمُضَارَعَةِ هَذِهِ الحَرَكَاتِ فَكَرِهُوا اجْتِمَاعَ
المتشابهات^(١)

ويفهم من كلام ابن جنبي السابق أن الفتح في نحو يَبِضَاتٍ وَجَوَزَاتٍ من ضرورة الشعر وليس لغة كما أسلفت .

ثم تراه يعقب على بيت الهدلي السابق فيقول في المحتسب : وعذره في ذلك : أي فتح العين : أن هذه الحركة إنما وجبت في الجمع ، وقد سبق العلم بكونها في الواحد ساكنة فصارت الحركة في الجمع عارضة فلم تحفل^(٢)

ثم تجده في الخصائص يصرح بأنه لغة هذيل فيقول بعد تعليله لما يغتفر من النقل في جمع المؤنث من توالي الكسرتين في سيدرات ، . . وصحة الواو في حُطَّوَاتٍ وَحُطَّوَاتٍ بضم الطاء وفتحها . . : ولأجل ذلك ما صح في لغة هذيل قوهم : جَوَزَاتٍ وَيَبِضَاتٍ ، لما كان التحريك أمرا عرض مع تاء جمع المؤنث ، وذكر البيت^(٣) . فالتسكين إنما هو لغة

(١) النصف لابن جنبي ٣٤٣/١ وانظر المحتسب ٥٧/١ ، ٥٨ .

(٢) المحتسب ٥٨/١ .

(٣) انظر الخصائص ١٨٣/٣ ، ١٨٤ .

جمهور العرب ، وأما الفتح إتباعا لحركة عارضة كما ذكره في المحتسب والخصائص .
وشرط فتح الواو والياء في جمع المؤنث السالم اذا وقعتا عينا أن تكون الفاء قبلهما
مفتوحة ، وأن تكونا في اسم لا صفة .

وجاء على لغة هذيل قراءة ابن أبي إسحق^(١) قوله تعالى : ﴿ ومن بعد صلاة
العشاء ثلاث غَوَرَات لكم ﴾ النور ٥٨ ، بفتح الواو على لغة هذيل إتباعا لحركة العين
قبلها .

قال ابن خالويه : سمعت ابن الأنباري يقول : قرأ به الأعمش ، وسمعت ابن
مجاهد يقول : هو لحن .

ثم قال : فان جعله لحنًا وخطأ من قبل الرواية ، وإلا فله مذهب في العربية ، إذ
بنو تميم تقول : رَوَاضَات ، وَجَوَرَات ، وَغَوَرَات بفتح الواو فيها وسائر العرب بالإسكان
وهو الاختيار ، لثلاثا تنقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها^(٢)

فابن خالويه — وحده — يعزو تحريك الواو والياء (عينين) في جمع المؤنث إلى
تميم على خلاف ما أقرته جميع المصادر العربية في ذلك ، وينفيه عن هذيل لدخولها في
سائر العرب والصواب ما قدمنا للآتي :

(أ) ما ذكره أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت ، قال أبو العباس (أي ثعلب
وأخبرني سلمة عن الفراء ، قال أنشدني بعض بني هذيل :
أخو بيضات رائح متأوب . . .

وكذا قال الزمخشري في المفصل : إذا اعتلت عين (فَعَلَّة) سكنت إلا في لغة
هذيل^(٣)

(ب) أنه لم يرد من شعر القبائل في ذلك شيء وكل ما ورد من الشعر شاهدا على
التحريك هو البيت السابق ، ولم يُعزَّز إلى غير هذيل ، وخرج عليه (ثلاث
غَوَرَات) .

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٠٣ .

(٢) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٠٣ .

(٣) انظر المفصل ١٩١ ، وخزانة الأدب ٤٢٩/٣ .

(ج) إن رواية ابن خالويه آحادية ، وهي لا تظهر على روايات الجمهور .
يقول البغدادي في تعليقه فتح الواو والياء في بَيَّضَات وَجَوَزَات : على أن
بَيَّضَات بفتح العين جاء على لغة هذيل ، فإنهم يفتحون العين في (فَعَلَة) صحيحا
كان أو معتلا^(١)

وقال الصيمري : ومن العرب من يخرجُه : (أي نحو : بَيَّضَات وَجَوَزَات) على
قياس تَمْرَة وَتَمْرَات ، فيفتح الثاني وهي لغة هذيل^(٢)

ونظيره قول صاحب المصباح : هذيل تفتح على قياس الباب : أي على وعدات
وتمّرات (— ولا تعمل — أي لا تقول : باضات وجازات لتحرك الياء والواو وانفتاح
ما قبلهما — لأن الجمع عارض ، والأصل أن لا يعتد بالعارض^(٣)

وعلى كل حال : فليس هناك من مانع يحول دون أن تشرك تميم هذيلًا في ذلك
التحريك ، حيث القبائل الفصيحة كانت متجاورة متلاهمة يؤثر بعضها في بعض ويحكي
بعضها عن بعض ، كما كانت تعيش في قلب الجزيرة العربية ، وهي تنحصر في عالية
السافلة وسافلة العالية ، ومن بينهم هذيل و تميم .

هذا — ويبقى بعض ما قدمت من مسائل الصرف في لغة هذيل ظاهرتان :

الأولي : الفصححة : وتختص بلغة هذيل وهي قلب الحاء عينا^(٤) فيقولون في مثل : حَلَّت
الحياة لكل حيّ : عَلَّت العياة لكل عيّ ، وشاهد ذلك قراءة ابن مسعود —
وهو من هذيل — قوله تعالى : ﴿ عَتَى حِينَ ﴾^(٥) من قوله ﴿ حَتَّى حِينَ ﴾
يوسف ٣٥ ، فلما علم عمر بن الخطاب بذلك أرسل إليه : أقرء الناس بلغة

(١) شرح شواهد الشافية ١٣٢ .

(٢) النصرة والتذكرة للصيمري ٦٤٩ .

(٣) انظر الصباح ١٦٠/٢ (مادة باض) .

(٤) انظر مقدمة التاج المقصد الخامس ٨/١ ، وشرح الكافية للرضي ٣٢٤/٢ ، والمزهر ٢٢٢/١ .
والبحر المحيظ ٣٠٧/٥ ، والمختصب ٨٣ ، وجفري ٤٩ ، ٦٤ ، ٨٠ ، وتاريخ آداب العرب
١٤٢/١ .

(٥) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ٦٣ .

قريش ولا تقرنهم بلغة هذيل ، وهو أيضا الذي قرأ قوله ﴿ وطلع منصود ﴾ الواقعة ٢٩ ، قال ابن سيده : والطلع لغة في الطلح^(١)

وإنما قلبت الحاء عينا لقربهما مخرجا ، حيث موضعهما وسط الحلق قال الخليل الحاء مخرجه من الحلق ، ولولا بحة فيه لأشبهه العين^(٢)

الثانية : الاستطاء ، وهو قلب العين الساكنة قبل الطاء نونا ، نحو أنطى في أعطى وهذه الظاهرة من روايات ابن مسعود كذلك ، وقد عزيت إلى خمس قبائل هي : هذيل وسعد بن بكر ، والأزد ، وقيس والأنصار ، وهي قبائل متجاورة وقرأ بها ابن مسعود قوله ﴿ إنا أنطيناك الكوثر ﴾ الكوثر ١ في ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ كما قرأ بها النبي — ﷺ — وتقول العرب : أعطني وأنظني^(٣)

* * *

ثالثا : ما يتعلق بالمعاني وهو نوع من الاشتراك في اللغة :

لا أريد أن أطيل في هذا النوع لأنه لا يباط به ألوان من الإعراب أو التصريف الأصوات ، وإنما نجد الكلمة في لغة هذيل بمعنى ، وفي لغة قبيلة أخرى بمعنى ثان ، وفي ثلاثة بنالث . . الخ وهذا الذي يعرف في علم اللغة بالمشترك ، وهو ما اتحد لفظه ، وتعددت معانيه ، وبهذا يصدق القول بأن من ظواهر تعدد اللغات في العربية الاشتراك والترادف والتضاد ، إذ يبعد في الحكمة أن يضع واضع مفرد ، معاني عدة للفظ واحد ، أو عدة ألفاظ لمعنى واحد .

كما لا أريد أن أتبع معاني الكلمات في قبائل مختلفة بل سأقصر الحديث على بعض الكلمات التي وردت بمعنى قد عزاه الرواة الى هذيل فقط دون أن تشركها فيها قبيلة ثانية وذلك — تهوينا على البحث وتخفيفا — وأحب أن أنبه الى أنه لم يكن لي جهد في ذلك إلا النقل حيث ورد ذلك في كتيب : اللغات في القرآن الكريم رواية ابن حسنون

(١) البحر ٢٠٦/٨ ، والكرماني ٢٣٧ ، وأخ ١٥١ .

(٢) انظر اللسان والتاج أول حرف الحاء .

(٣) العرب والعربية ٦١ ، ٦٣ ، والكرماني ٢٧١ ، والبحر ٥١٩/٨ ، ومختصر شواذ القراءات لابن

خالويه ١٨١ ، واعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ٢٠٩ ، وتاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور

شاهين ١٤٠ .

المقرئ بإسناده إلى ابن عباس — رضي الله عنهما — تحقيق الدكتور صلاح المنجد ،
ويحسن بي هنا أن أضرب أمثلة خفيفة لبيان المقصود .
الأمثلة :

(أ) ورد السَّب بمعنى الحبل في لغة هذيل ، ومنه قول الشاعر :
قال أبو ذؤيب الهذلي :

تدل عليها بين سَبِّ وخيطة مجرداء مثل الوكف يكبو غرابها
فالسَّب لفظ مشترك من معانيه : الذي يُسَابِكُ قال عبد الرحمن بن حسان يهجو
مسكينا الدارمي :

لا تُسَبِّني فلست بسبيي إن سبيي من الرجال الكريم
والسب الكثير السباب قاله أبو عبيدة . والسَّب : الخمار وكذلك العمامة قال
الخبل السعدي :

فأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سبَّ الزبرقان المزعفرا^(١)

(ب) ورود أحسب بما أعطي ما يحسه : أي يكفيه ومنه قول الهذلي :

حساب ورجل كالجراد يسوم^(٢)

وفي اللسان : الحساب : الكثير ، وفي التنزيل : ﴿ عطاء حسابا ﴾ النبأ ٣٦
ويقال : أتاني حساب من الناس : أي جماعة كثيرة وهي لغة هذيل ، وقال
ساعدة بن جؤية الهذلي :

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره حساب وسرب كالجراد يسوم^(٣)

(ج) الصلْد : الأملس من الحجارة ، قال الكسائي : صلد يصلد صلدا بتحريك اللام
فهو صلد بالاسكان ، وهو كل ما لا ينبت شيئا ، ومنه جين أصلد أنشد
الأصمعي لرؤة .

(١) انظر القرطبي ١٨١/٢ والزهر للسيوطي ١٤٩/١ ، والصاح ١٤٥/١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٥١٣ .

(٣) اللسان ٣٠٣/١ ، وديوان الهذليين ٢٢٩/١ ، وأساس البلاغة ١٧٣/١ .

براق أصلاد الجين الأجلة

قال النقاشي : الأصلد : الأجرد بلغة هذيل^(١)

(د) التخوف : التَّقْصُّ بلغة هذيل قال سعيد بن المسيب : بينا عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — على المنبر قال : « يأبها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل » : ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ ؟ فسكت الناس ، فقال شيخ من بني هذيل : هي لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف : التَّقْصُّ ، فخرج رجل فقال : يا فلان مادئتك ؟ . قال : تخوفته : أي تنقصته ، فرجع فأخبر عمر ، فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟ . قال : نعم . قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكّه واكتنازه :

تخوف الرجل منها تامكا فردا كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر : يأبها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم . . وقال الليث بن سعد : (على تخوف) : على عجل ، وقيل على تقريع بما قدموه من ذنوبهم ، وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) ..

(هـ) قال تعالى : ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ القلم ٢٥ . أي على قصد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم . قال معناه ابن عباس وغيره والحرد القصد . . تقول حردت حردك : أي قصدت قصدك . ومنه قول الزاجر :

أقبل سيل جاء من عند الله يجر حرد الجنة المغلة

... قال المبرد : أي ذات الغلة . .

وقال قتادة ومجاهد : على حرد : أي على جد ، وقيل على حاجة وفاقة .

وقال أبو عبيدة القُتَيْبِي : على حرد : على منع ؟ من قولهم : حاردت الإبل حرادا : أي قلت ألبانها . . . وقال السدي وسفيان على حرد : على غضب . . ومنه أسد حارد ، وليوث حوارد : غضاب . وقيل على حرد : على انفراد ، يقال :

(١) القرطبي ٣/٣١٣ .

(٢) القرطبي ١٠/١١٠ ، ١١١ .

حرد يحرد حرودا ، أي تنحى عن قومه ، نزل منفردا ولم يخالطهم . وقال أبو زيد :

رجل حريد من قوم حرداء . . وكوكب حريد : أي معتزل عن الكواكب . قال الأصمعي : رجل حريد : أي فريد وحيد ، قال : والمنحرد : المنفرد في لغة هذيل ، وأنشد لأبي ذؤيب :

كأنه كوكب في الجو منحرد

أي منفرد^(١) .

(و) الشيخ : نبت ، والشيخ في لغة هذيل : الجاد في الأمور والجمع شياح وشايح الرجل : جد في الأمر ، قال أبو ذؤيب يرثي رجلا :

بدرت إلى أولاهم فسبقتهم وشايحت قبل الموت إنك شيخ
وأشاح مثل شايح قال أبو النجم :

قُبَا أَطَاعَت رَاعِيَا مَشِيحَا لَا مَنَفْشَا رَعِيَا وَلَا مَرِيحَا
وفي لغة غيرهم شايح وأشاح بمعنى حذر قال أبو السوداء العجلي :

إذا سمعن الرزَّ من رياح
شايحن منه أيما شياح

أي حذرن^(٢)

إلى غير ذلك من الكلمات ذات المعاني المتعددة التي تؤكد القول بتعدد الواضعين في اللغة مما يمثل ظاهرة اختلاف لغات القبائل بتعدد المعاني وقد حصلت من ذلك الكثير ولنكتف بهذا القدر تخفيفا على البحث وتهوينا على الباحث .

وبعد :

فتلك أبرز خصائص لغات هذيل ، قد شغلتي ردحا من الزمان غير قصير ،

(١) انظر القرطبي ٢٤٢/١٨ ، ٢٤٣ .

(٢) الصحاح مادة (شيخ) ٣٧٩/١ .

حيث لا تجدها إلا نتفا مبعثرة هنا وهناك بين طيات كتب المعاجم والنحو والصرف والأدب والتفسير . . الخ ولن يأتي عليها فن أو سفر من الأسفار .

وحيث كانت هذيل تحيا بين أخوات لها مضرّيات وربّعيّات ، وتعيش معهن في منطقة يدنو بعضهم من بعض ويتأثر بعضهم ببعض ، وتلتقي فيها إحدى قبائلهم بالأخرى زرافات وأحدانا ، كان لا بد من أن تتأثر هذيل بغيرها ، أو تؤثر هي في غيرها وهذا ما حدا بي إلى إمعان النظر فيما تتفق فيه مع سواها أو تتميز به عن غيرها من اللواتي يوافقنها تارة ويخالفنها أخرى .

والله — أسأل — أن ينفع بهذا الجهد ، ويهدينا سبيل الرشاد ، وأستغفره — سبحانه — مما طغى به القلم ، أو زل به الفكر ، على أنه قد قيل : ليس من الدخل أن يطغى قلم الانسان ، فانه لا يكاد يسلم منه أحد ، ولا سيما من أكثر أو أطنب .